

خطبة الرسول الأكرم (ص) في استقبال شهر رمضان المبارك



فمن يكون - يا ترى - من أهل ضيافة الله وكرامته؟ إنهم المؤمنون المخلصون في كل أخلاقياتهم وسلوكياتهم، وفي قلوبهم وصدقهم ومشاعرهم، والله تعالى يدعونا بلطفه إلى أن نوفق بصيامنا لأن نهذب إيماننا ونعمقه، ونؤكد ارتباطنا الفعلي بالله تعالى. فعن أمير المؤمنين (ع) قال: «إن رسول الله (ص) خطبنا ذات يوم فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ رَسْمَهُ قَدْ أُقْبِلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبِرِّ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. شَهْرُهُ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ. هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضَيْافَةِ اللَّهِ، وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللَّهِ. أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بِغِيَّاتِ صَادِقَةٍ، وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ، أَنْ يُؤَوِّقَكُمْ لِرِصِيَامِهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ عُفْرَانَ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ. وَادْكُرُوا بِجُوعِكُمْ وَعَطَشِكُمْ فِيهِ، جُوعَ يَوْمٍ

وما أجمل أن يعيش الإنسان معنى الصدقة والعطاء للفقراء والمحتاجين! حيث يشعر بإنسانيته أكثر، ويمارس الرحمة مع الناس، ويحفظ بصره وحواسه عمّا حرم الله تعالى، ليتعرف أهمية العفة، وما أحلّه الله له من طيب العيش. كما أن أبواب السماء في هذا الشهر مفتوحة، ودعاء العباد مستجاب، والدعوة للإنسان قائمة حتى يستفيد من هذا الشهر في طلب التوبة والاستغفار، ويعقد العزم على خلوص النية والعمل، وصولاً إلى رحمته والقرب منه.

يقول الرسول الأكرم (ص) في خطبته:

«وَتَصَدَّقُوا عَلَيَّ فُقَرَاءِكُمْ، وَمَسَاكِينِكُمْ، وَوَقِّرُوا كِبَارِكُمْ، وَارْحَمُوا صِغَارِكُمْ، وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، وَادْفِطُوا أَلْسِنَتِكُمْ، وَغَضُّوا عَمَّالًا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَبْصَارِكُمْ، وَعَمَّالًا لَا يَحِلُّ الاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَسْمَاعِكُمْ. وَتَحَنَّنُوا عَلَيَّ أَيُّتَامِ النَّاسِ يُتَحَنَّنْ عَلَيَّ أَيُّتَامِكُمْ، وَتُوبُوا إِلَيَّ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالذُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَاتِكُمْ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، يَنْظُرُ إِلَيَّ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِالرَّحْمَةِ إِلَيَّ عِبَادِهِ، يُجِيبُهُمْ إِذَا نَادَوْهُ، وَيُلَاقِيهِمْ إِذَا نَادَوْهُ، وَيُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوهُ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ. أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَرْحَمَ مَا عَلَيْكُمْ مَرَهُونَةُ بِأَعْمَالِكُمْ، فَفُكُّوْهَا بِاسْتِغْفَارِكُمْ، وَطَهُرُوكُمْ بِثَقِيلَةِ مَنْ أَوْزَارِكُمْ، فَخَفِّفُوا عَنْهَا بِطَوْلِ سُجُودِكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّ أَفْسَمَ بَعِزَّتِهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ الْمُصَلِّينَ وَالسَّاجِدِينَ، وَأَنْ لَا يُرَوِّعَهُمْ بِالنَّارِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ».

ويتابع رسول الله (ص) توجيهه لنا وتعليمه إيَّانا على تحصيل الخير ونفقة البرِّ والعمل الصَّالح والتراحم والتكافل وتلاوة كتاب الله والصلاة على النبي وآله، حتى يغدو ميزاننا ثقیلاً عند الله يوم تخفف الموازين، فلنسع كي نكون من أصحاب الموازين المثقلة عند الله تعالى في هذا الشهر:

«أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِمًا مُؤْمِنًا فِي هَذَا الشَّهْرِ، كَانَ لَهُ

بِذَلِكَ عِنْدَكَ [عِتْقُ نَسَمَةٍ، وَمَعْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ]، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَلَا يَسْ كُلُّنَا بِقَدْرٍ عَلَيَّ ذَلِكَ، فَقَالَ - صلى الله عليه وآله -: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ، أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ حَسَنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلِقَهُ، كَانَ لَهُ جَوَازًا عَلَيَّ الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ خَفَّفَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، خَفَّفَ [عَلَيْهِ حِسَابَهُ، وَمَنْ كَفَّ فِيهِ شَرَّهُ، كَفَّ [عِنْدَهُ غَضَبُهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيمًا، أَكْرَمَهُ [يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ وَصَلَ فِيهِ رَحِمَهُ، وَصَلَّ [بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ قَطَعَ فِيهِ رَحِمَهُ، قَطَعَ [عِنْدَهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلَاةٍ، كَتَبَ [لَهُ بِرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرَضًا، كَانَ لَهُ ثَوَابُ مَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ، وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ، ثَقَّلَ [مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخْفَسُ الْمَوَازِينُ، وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، كَانَ لَهُ مِنْهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ».

«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفْتَتِحَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُغْلَقَهَا عَلَيْكُمْ، وَأَبْوَابَ النَّارِ مُغْلَقَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُفْتَتِحَهَا عَلَيْكُمْ، وَالشَّيَاطِينِ مَغْلُوبَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ».

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع): "فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْحَسَنُ! أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ: الْوَرَعُ عَنِ مَحَارِمِ [عَزِّ وَجَلِّ، ثُمَّ بَكَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَبْكِيكَ؟ فَقَالَ: "يَا عَلِيُّ، أَبْكِي لِمَا يُسْتَحَلُّ مِنْكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ، كَأَنِّي بِكَ وَأَنْتَ تَصَلِّي لِرَبِّكَ، وَقَدْ انبَعَثَ أَشْقَى الْأَوْسَلِينَ وَالْآخِرِينَ، شَقِيقُ عَاقِرٍ نَاقَةٍ ثَمُودٍ، فَضْرِيكَ ضَرْبَةً عَلَى قَرْنِكَ فَخَضَبَ مِنْهَا لِحْيَتَكَ". قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع): فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَذَلِكَ فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي؟»، فَقَالَ (ص): "فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ". ثُمَّ قَالَ: «يَا عَلِيُّ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّنِي، لِأَنَّكَ مِنْ نَفْسِي، رُوْحُكَ مِنْ رُوْحِي، وَطِينَتُكَ مِنْ طِينَتِي، إِنَّ [تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ، وَاصْطَفَانِي وَإِيَّاكَ، وَاخْتَارَنِي لِلنَّبُوَّةِ وَاخْتَارَكَ لِلْإِمَامَةِ، وَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرَ نَبُوَّتِي، يَا عَلِيُّ، أَنْتَ

وصيّي وأبو ولدي وزوجُ ابنتي وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرُك أمرِي، ونهْيُك نهْيِي. أُقسمُ بالذي بعثتني بالنبوّة، وجعلني خيرَ البريّة، إنَّكَ لحجّةُ اللهِ على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته على عبادِه».

أفضل الأعمال في شهر رمضان الورع عن محارم الله، حيث على الإنسان أن يعرف حدود الله فيلتزمها، ولا يعتدي على الناس وأعراضهم وحقوقهم وأماناتهم، ولا يتجرأ على النفوس والأعراض، بل يعيش كلَّ قيمة ومعنى يتقرّب بهما إلى الله، ويصنع مصيره الذي يرتضيه الله في الدنّيا والآخرة.

ندعو الله تعالى أن يوفّقنا في صيام هذا الشهر الكريم وقيامه وإحيائه بالمحبّة والرّحمة والتكافل، وتمتين علاقاتنا الأسريّة والاجتماعيّة، بما يؤكّد إنسانيّتنا وإيماننا الفعليّ في كلِّ ساحات الحياة، وأن يثبّتنا على دينه وولاية نبيّه الكريم وآله الأطهار.